

هذا وطني



"كل يوم.. بعدما يلعب في الكون السكون... بعدما يجتمع الصمت على همسة قيثارة أخير.. هو يأتي كنبى سرمدى.. يحمل الريح كتابا، ووعودا... زانغ البهجة كالنجم الشريد... يتزوي في حجرتي كالنظرات.. حاسر الرأس عنيدا.. نحسني كأسا معا، ثم ثانيا، ثم كأسا.. ثم نمشي في بقايا بعضنا كالغيمتين... كل يوم... من ديوان أخاديد للشاعر حسين الهنداوي.

نعم يا صديقي.. كل يوم يمضي ما تبقى من بعضي مع بقايا وطن، وطن كلما أوغلت في الهروب منه، وتحاشيت الحديث عنه، أوغلت فتنته بحبسي في زنازين الذهول، بالأمس كنت كالحصيري اذرع شوارع عاصمتي المنكوبة، مفتون بخمرة إرثها الذي قارب أن يضع قبضيت مع سعدونها نهارات أعب ما تبقى من زيت جرار كهرمانته، أو اغتسل بماء القداسة من تمثال صاحبه الذي لم يخن ولم يسرق ولم يمت كميته أحياء السياسة الآن.



□ أربيل / يوسف المحمداوي



قلادة تزيّن سفوح جبل سفين

شقلاوة ١٧٨٧ كم مربع من سحر السهول وترف الجبال

من الشوارع إلى قلادة سفين

نعم تركت حياة شوارعي، السعدون، الكفاح بجده، طه وقصور فطاحل مضت، النهر بعرانسه وقضة زهرون المندائي، وساعود حتما بعد أن استرد عافيتي التي أهدرتها وجعاً على أرفصفتها، سأستردّها اليوم من عقب مدينة اقل ما يقال عنها عطر أربيل وقلادة سفين.

قضاء شقلاوة بناوحيه الخمس ومئات القرى التابعة له، يبعد عن مركز أربيل عاصمة إقليم كردستان ٥٠ كم، وقيل أن نجر سفينة متعنتا باتجاه شقلاوة من العاصمة أربيل يجب أن تتوقف قليلا عند تاريخ عاصمة الإقليم هذه المدينة الموعلة بالقدم والجمال.

أربيل شهدت حروباً تاريخية عدة، منها الحرب المعروفة باسم اربيليا بين آخر ملوك الفرس والإسكندر المقدوني، وسميت أربيل بهزيمة هولوكو بعد فشله بجيتاح قلعتها الشهيرة المائلة للحيان اليوم، كشاهد حي على صمود ونضال شعبنا في كردستان.

مدينة الآلهة الأربعة

تبعد بحوالي ٣٦٠ كم شمال العاصمة بغداد، تحدها من الشرق السليمانية، ومحافظتا الموصل ودهوك من الغرب، وكركوك من الجنوب، ومن الشمال دولتا تركيا وإيران، عمرها يبلغ أكثر من ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد، وهذا ما أعطاه أهمية السياحة الأثرية، ونكرت أربيل في مصادر تاريخية عدة، ففي الكتابات السومرية كانت تسمى (باوريليم)، وفي بابل وأشور سميت (أربائيلو) وتعني الآلهة الأربعة، حبها الله بموقف جعل منها تترج على سهل واسع وعريض يتألف من الجبال والتلال والسهول والهضاب، تغمرها فضلا عن مياه الأمطار والينابيع مياه نهري الزاب الكبير شمالا، والزاب الصغير جنوبا، بالإضافة إلى مياه أنهار وجداول موسمية، وهذا ما جعلها تمتاز بطبيعة خلابة تملأها الغابات والأحزمة الخضراء الطبيعية التي تقول لناظرها بكل زهو وكبرياء أنا جنتم وفنتكم على الأرض.

أربيل يا قديسة السحر ساترك ضيافتك مغلوبا على أمري صوب ضلع من ضلوع حسنة البهي، بك تنبض وعليها سفين حارس لا ينام، وأي عين تغفو على صحوة شمس، صيحة ديك، رقصة فراشات، عطر وروود، لعب غزلان، كف فلاحه يغري ضرع من تجود بالحليب في شقلاوة

التمر والمطر، وهودج عرسان اتعب السهر.

في قمة أيام الدلال

يقع مصيف شقلاوة شمال أربيل ويبعد عن مركزها بحوالي ٥٠ كم، ويقع هذا القضاء المتخّم بأيات الحسن بين جبلين هما سفين وسورك، وتقع تماما على سفح جبل سفين الذي يرتفع عن سطح الأرض بحوالي ١٤٧٥ مترا، فيجدها الناظر إليها كأنها أنثى جالسة عند قدمي تاج السلطان سفين.

مع كل دورة لعجلات السيارة التي تقلنا باتجاهها كان هناك مشهد يعقبه مشهد آخر أكثر دهشة، يغري ضعيف القلب مثلي أن يخف عن الكتابة، لكن بياض الورق وشهوة البراع بنادياني هل من مزيد؟ قطع من الأبقار على الجانب الأيسر، خيام بدو أو عجر لا ادري تنتشر هنا وهناك، ولا افهمه أن ماشيتهم في وسط تلك المروج تعيش في قمة أيام دلالتها.

ما تبقى من الطاغية

انقبض هذا القلب اللاهي بمنعة السرور وهو يشاهد هياكل دبابات ودروع تناثرت على الطريق، لكن سرعان ما زال ذلك الانقباض وانا اشاهد يعلو تلك الهياكل مجموعة اطفال يمارسون حركات براءتهم عليها، التفت الى صاحبي مستفسرا، فقال بهدوء وبساطة إنها بقايا

الدكتاتوريا صاحبي، إنها آثار الفرعون، نعم هذا ما تبقى من حكم الظلم وسلطة الدمار، اتمنى أن يمر عليه الحاكمون الآن، الظالمون الآن، السارقون الآن، ليروا كيف فعل ربهم بأصحاب الجور....

وقفت عند قطعة كتب عليها مجمع سفين السياحي، لا أظن أن عدسة كاميرتي ولا عدستي عيني تستوعب أو تستطيع أن تصف مشاهد فيلم أسطوري من بطولة الورد والشجر والتمار، وواد يقودك للجنة التي تريد، مظلة من غابات تنافست على تندية شعاع الشمس قبل أن يصل الى سطوح(شقلاباد).

تعددت الأسماء والحسن واحد

(شقلاباد) هو الاسم المتداول في الكتب المسيحية لقضاء شقلاوة نسبة إلى كنيسة تحمل نفس الاسم، ووردت تحت اسم (شقاباد) في كتاب تاريخ الكرد، لكن ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان يسميها (شقلاباد)، فيما المؤرخ محمد امين زكي هو الأقرب للتسمية حين ذكرها (شاقلي أوا)، وتعد شقلاوة مع إيغالها بالسحر موعلة بالقدم، ففيها من الكنائس والأديرة من يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي، ومثال ذلك (دير ريان بيا) أو (شيخ وسورحمن)، الذي يرجع تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، وموقعه

في أعلى جبل سفين والمسافة التي بينه وبين الشارع العام الذي نحن عليه الآن تقدر بستين دقيقة حتى يصل الذهاب اليه، ومع ذلك أصبح هذا الأثر الديني قبلة للزائرين من معتقي الديانة المسيحية، لاعتقادهم بأنه سكن قديما من قبل رهبان اتخذوه مقرا لعبادتهم بعيدا عن ملاحقة ظلم الحكام آنذاك، المهم تعددت الأسماء والحسن واحد.



يقع مصيف شقلاوة شمال أربيل ويبعد عن مركزها بحوالي ٥٠ كم، ويقع هذا القضاء المتخّم بأيات الحسن بين جبلين هما سفين وسورك



لا تشتري العسل إلا مني

(شقلاباد) هو الاسم المتداول في الكتب المسيحية لقضاء شقلاوة نسبة إلى كنيسة تحمل نفس الاسم، ووردت تحت اسم (شقاباد) في كتاب تاريخ الكرد



متداول في الكتب المسيحية لقضاء شقلاوة نسبة إلى كنيسة تحمل نفس الاسم، ووردت تحت اسم (شقاباد) في كتاب تاريخ الكرد



المحرف في اسواق شقلاوة

فضلا عن أن العامل الرئيس والمهم فيها هو جمال الطبيعة وروعة التعامل الإنساني التي يتحلى بها أهالي شقلاوة، والتي أنى أقمت فيها بمرکزها أو نواحيها أو قرأها، أجد نفسي مبتعدا عن كل هذا الوجود مرددا مع النفس ما قاله لي الضمير:

هذا هو النهار الذي أريد
بوسامته يرتدي قميص الشمس
تتلا من تحته مفاتن الربيع الدائم..
كم أحبه هكذا...أشتهي..أموت فيه...
وهو يتسّم ملوحا لي بفنح الجمال
هذا هو الشمال
ماندة سحر..تصيح بي..تعال.
ماذا أنجز؟

يطبق في القضاء برنامج مراقبة اسمه (ماذا أنجز؟)، وهو لمتابعة سير المشاريع في القضاء ويبين قائممقام القضاء زكار حسن ناصح أن من ابرز المشاريع السياحية في الإقليم، هو بناء مدينة سياحية في جبل سفين، وهذه السفينة تضم بحجيرات وفنادق ومطاعم على سفين، فضلا عن أن الانتهاء من بناء فندق خمسة نجوم قبل عيد الفطر المقبل.

الأزمة المالية التي يعيشها العراق انعكست أيضا على دورة الحياة المائية في الإقليم، فالشلالات التي كانت تنبأه به شقلاوة تقلصت ولم تحبّق غير دورات الينابيع ومجارها العذبة، وحتى لا تتفاقم الأزمة باشر المسؤولون في الإقليم إقامة سد لخزن المياه، وذلك في قرية (أقويان) التابعة لشقلاوة بكلفة ٦ مليارات و٧٠٠ مليون دينار، ويستوعب السد مليونين و٦٥٠ ألف متر مكعب من المياه، وهي لخدمة استخدامات الفلاحين في إيواء محاصيلهم الزراعية على مدار السنة.

من أين فات اليوم.. قل لي؟

وفي شقلاوة العديد من المطاعم والفنادق والكازينوهات، منها لا على سبيل المثال لا الحصر، فندق مشكور، خانزاد، مصايف سفين، الفندق السياحي، فندق قصر ميديا، مطعم جيهان الذي يشرف على شقلاوة وغيرها من المرافق السياحية، فضلا عن وجود دور سنن للعوائل المصطافة وبأسعار زهيدة إذا ما قورنت بمثيلاتها من دول الجوار، وهي مجهزة بكل ما تحتاجه العائلة، وأنا أودع صاحبي كوفن الشيخ جوهر وأغادر المدينة إلى صاحبة أخرى لم أجد ما يليق أن أقول ما قالته نافذة الشاعر جاسم بديوي:

عد بي شذى، دفعا لأجلي...
ضوء فيغفو الورد حولي
عد بي لعلي صرت مثلك...
أو لعلك صرت مثلي
إني أبخر ما يحنيه الغروب بكل فصل
إني أعينك من أمانة ذلك المجنون،
شكلي
من ذلك العشق الفراشي المرقق تحت
حقلتي
أنا باختصار عواطف الأروى... بحذف
النار اعلي
لي أن أصبح بلا دجى... من أين فات
اليوم..قل لي؟
من أين فات اليوم..قل لي؟



ما تبقى من الطاعة

في العهد العثماني كانت ناحية، وأول مدير ناحية لها هو شفيق أفندي، مضيفا أنها في العهد الملكي وبالتحديد عام ١٩٥٣ تحولت إلى قضاء، وأول من تسلم مسؤولية القضاء فيها السيد شاكر فتاح، وتبلغ مساحة قضاء شقلاوة بناوحيه وقراه ١٧٨٧ كم مربع وفق إحصائية عام ٢٠٠٩ كما يقول دليلي.

مصدر غير مستورد

وللقضاء الآن خمس نواحي تتبع كل ناحية مجموعة من القرى، وما يميز تلك النواحي طبيعتها المختلفة من ناحية إلى أخرى سواء بالنضاريس او في نوع الثمار المزروعة فيها، وهذا ما جعل القضاء متنوعا ذاتيا ومصدرا غير مستورد لما يحتاجه البيت الشقلاوي، فمثلا ناحية حريز التي يبلغ عدد سكانها ٤٠ ألف نسمة مع سكان القرى الـ٤٣ التابعة لها، تمتاز بطبيعة ارض ٩٥٪ منها سهول، وبقية الأراضي جبلية، فيما تجد ناحية صلاح الدين التي مساحتها ٧٨ كم مربع مع الـ٥٦ قرية التابعة لها نصفها جبال والبقية تتوزع ما بين السهول والوديان، وهذا ما منحها تلك النعمة المضيئة من الزهو.

٢٦٠ ألف دولار للسياحة

مدير ناحية مصيف هيران سواره أكرم، والتي تقع على بعد ٢٠ كم شرقي القضاء، أكد أن حكومة الإقليم رصدت ٢٦٠ ألف دولار لتنمية السياحة ودعم مشاريع المياه في الناحية، وفي الوقت نفسه بين رئيس بلدية قضاء شقلاوة هونز سيد طالب، إن الأمور قاربت على صيانة وتبليط ١٥ ألف متر من شوارع القضاء بكلفة ١٩٧ مليون دينار، يذكر أن ناحية هيران التي أنجبت الشاعر صافي هيراني فيها مركز للثقافة أسسه مرشدي في هذه الرحلة قبل أربع سنوات وتقام فيه العديد من الأنشطة الثقافية، ومن مواليد القضاء الإعلامي الراحل محمد مولود مم، والعديد من الشخصيات الأدبية والفنية.

تركت أخبار المسؤولين وسلبت تفكير روعة ونظافة المدينة بكل محتوياتها، المحال بكافة مقتنياتها، الغذائية والمنزلية والكماليات،

الشاعر صافي هيراني

يقول دليلي وصاحبي وهو كاكا كوفن شيخ جوهر هيراني صافي من قبيلة خوشناو، ولحسن الصدق أن صاحبي في هذه الرحلة هو حفيد الشاعر الكردي صافي هيراني الذي سمي شارع في أربيل باسمه، ونصب له تمثال في بوابة ناحية هيران التي تتميز بنبابيع عيونها العذبة التي تغري السياح بقدمهم مرغمين إليها، وتتعاشق مياه تلك العيون مع غابات الثمار والفواكه والورود لتكون جوا في لهيب تموز تبلغ أقصى درجات الحرارة فيه ٣٢ درجة مئوية، وفي الشتاء تصل إلى ١٠ درجات مئوية تحت الصفر، وهو الجو السائد في قضاء شقلاوة وليس في تلك الناحية فقط.

من ينظر إلى ذلك الحسن الاعجازي لا يصدق بان الشاعر صافي هيراني الذي كتب شعره بأربع لغات من ضمنها وقتحه جحافل الحزن حتى قال "أذهب الحزن شيايبي...واقبل الهرم علي مسرعاً... وينبغي علي معايشة الحزن...وهذه هي حياتي".

هبطت بنا السيارة نحو مركز القضاء، شعرت مع ارتفاع الضغط والصوت الذي صدر عن أنثاي باني مسافر على متن طائرة وهبطت بنا على عجلة فوق مدرج المطار على الرغم من استخدامي للعلكة وفتح في باستمرار.

لا تشتري العسل إلا مني

وما أن حطت بنا الطائرة عفاو السيارة في ستر المدينة، التي كل شيء فيها ينادي الجميع: "لا تشتري العسل إلا مني، لا تشتري الجوز إلا مني، لا تتخاع هدايا الفواكه والثمار إلا مني، انا اللوز والتين والجوز والمشمش والتوت والزبيب والخوخ والكمرى والرمان"، التفت القلب لحظتها باتجاه مصيبيتي أو عاصمتي ليسمعها ما يسمع، فرددت عليه بصوت مبجوح "أنا الخراب والعذاب والإرهاب والتراب، وإن فتح الله باب أقل حاكم المدينة ألف باب، سيوف الذبح أخذت مأخذها مني، وكواتم الصوت لا يجيد رصاصها عني، وأرصدة الساسة يطربها أني"، أخفيت دععي عن صاحبي وهو يقول: إن شقلاوة